كلمة التحرير

تاريخ المعرفة

تاريخ المعرفة كما يراه ابن خلدون جزء أساسي من تاريخ المجتمع البشري. والتاريخ عنده علم من علوم الفلسفة وهو من "الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال.. إذ هو في ظاهره لا يزيد عن إخبار عن الأيام والدول.. وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليلٌ للكائنات ومباديها دقيقٌ، وعلمٌ بكيفيات الوقائع وأسبابها عميقٌ، فهو لذلك أصلٌ في الحكمة عريقٌ وجدير بأن يُعدّ في علومها وخليقٌ.."[1] ثم يبين أنّ التاريخ لما كان في حقيقته خبراً عن الاجتماع الإنساني، الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران، فإن واجب المؤرخين أن يستوفوا خبر الشعوب والأمم حتى تنقل تجاربهم، ولكن الحال ليس كذلك وقد يكون لهم عذر، "لعلهم كتبوا في هذا الغرض واستوفوه ولم يصل إلينا، فالعلوم كثيرة والحكماء في أمم النوع الإنساني متعددون وما لم يصل إلينا من العلوم أكثر مما وصل.. فأين علوم الكلدانيين والسريانيين وأين علوم القبط ومن قبلهم؟ وإنما وصل إلينا علوم أمة واحدة وهم اليونان خاصة، لِكَلَفِ المأمون بإخراجها من لغتهم واقتداره على ذلك بكثرة المترجمين وبذل الأموال فيها، ولم نقف على شيء من علوم غيرهم.."[2].

إن تاريخ المعرفة لا ينفصل عن المعرفة نفسها، والتحليل النقدي الذي يريده ابن خلدون لحركة المعرفة في أي ميدان من ميادينها هو فلسفة ذلك الميدان المعرفي. كذلك فإن هذا التحليل النقدي لا يكون ذا معنى دون النظر في المسيرة التاريخية للمعرفة.

---

1 ابن خلدون، عبد الرحمن. المقدمة. تحقيق علي عبد الواحد وافي. القاهرة: دار نهضة مصر، ط 3، 1979، ص 282.

2 المرجع السابق، ص 332.

ويرى أحمد فؤاد باشا أنّه: "ليس ثمة معرفة إنسانية إلا وتفقد طابعها العلمي إذا نسي الناس الظروف التي نشأت في أحضانها وأغفلوا المسائل التي تولت الجواب عليها وحادوا عن الهدف الذي وجدت من أجله". [3]

ويشير تاريخ المعرفة إلى أن الحقول المتخصصة من المعرفة Disciplines أو فروع العلم –مثل علم الكيمياء أو الفيزياء من العلوم الطبيعية أو علم التاريخ وعلم الاقتصاد من العلوم الاجتماعية– لم تكن متمايزة كما هو اليوم. ومعظم هذه الحقول المعرفية أو العلوم المتخصصة كانت أغصاناً في شجرة الفلسفة. وبقيت الفلسفة والعلم (أو لمعرفة) مفهومين متداخلين فترة طويلة؛ فالفلسفة أو الحكمة أو حب المعرفة، كانت المظلَّة العامة لهذه العلوم، وكان العالِم في الغالب فيلسوفاً وعالماً يؤلف في العلوم الطبيعية والرياضيات والطب والمنطق والميتافيزيقا.

وعندما تمايزت الحقول المعرفية عن الفلسفة بقي لكل علم منها بعدٌ فلسفيٌ يتعلق بطبيعة العلم وبنيته ومنهجيته، وأساليب التحليل النقدي للمعرفة الخاصة به، مثلما بقي لكل علم منها بعدٌ تاريخيٌ يتعلق ببدء المعرفة المتخصصة فيه وجذورها ثم نشأتها وتطورها وشخصيات العلماء الذين أسهموا في مراحل تطور العلم والظروف التي رافقت هذه المراحل. ويبدو أن ثمة تداخلاً ظاهراً بين فلسفة أي علم وتاريخه، ولو حاولنا دراسة هذه العلاقة لوجدناها تنتهي إلى علاقة عامة بين المعرفة إجمالاً وتاريخ هذه المعرفة.

يؤكد لاكاتوس Lacotos هذه العلاقة بقوله: "فلسفة العلم بدون تاريخه فارغة، وتاريخ العلم بدون فلسفته أعمى". [4] فتاريخ العلم يَتَعَلَّمُ من فلسفة العلم والعكس صحيح؛ فلسفة العلم مثلاً تُزَوِّدُنا بمنهجية معيارية تفيد المؤرخين في بناء مادة الفرع العلمي، وبالتالي تمكننا من التفسير العقلي لتطور المعرفة الموضوعية لذلك العلم. كذلك فإن البناء العقلي للتاريخ يحتاج إلى الوقائع العملية ذات البعد الاجتماعي والنفسي.

---

[3] باشا، أحمد فؤاد. ابستمولوجيا العلم ومنهجيته في التراث الإسلامي في قضايا المنهجية في العلوم الإسلامية والاجتماعية. تحرير نصر عارف. هيرندن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي 1996 ص 28.

[4] Locatos, Imre. The Methodology of Scientific Research Programme. Vol.1. edited by J. Warrall & G. Currie. Cambridge, UK: Cambridge University Press, 1978, P. 102.

إن النظريات الحديثة التي قدمّها بعض فلاسفة العلم في القرن العشرين مثل كارل بوبر، وتوماس كون، وإمري لاكاتوس لتفسير تطور المعرفة الإنسانية وتكامل بنيتها من الخصائص والمبادئ النظرية، وبيان ما فيها من بناء منطقي وتماسك داخلي قد اعتمدت اعتماداً كبيراً على تسلسل الوقائع التاريخية وتمايز أشخاص العلماء والباحثين وطبيعة ظروفهم.

ويرتبط تاريخ العلم والمعرفة عادة –ولاسيما في كتابات الغربيين– بتاريخ الفلسفة والمنطق والبحث في ضوابط التفكير العقلي،[5] ويبدأون عادة بالفلسفة اليونانية ويذكرون أرسطو على وجه التحديد. لكن تاريخ المعرفة البشرية لا يبدأ من أرسطو، بل يبدأ قبله بعشرات القرون. فمن المعروف أن الشرق قد شهد حضارات مادية ومعنوية سبقت اليونان بكثير. فبلاد الرافدين في العراق عرفت الكتابة المسمارية والحياة الاجتماعية المستقرة والنظم السياسية والأخلاقية والقانونية المسجلة في شريعة حمورابي، كما عرفت استعمال المعادن والنفط (البترول) وأصول الزراعة والملاحة والفلك قبل الميلاد بعشرين قرناً. وربما كانت أوروبا حينها لا تزال في العصر الحجري! وقبل ذلك عرفت بلاد وادي النيل في مصر الفلسفة الدينية ومبادئ التوحيد والبعث وفنون الكيمياء والطب والهندسة وتدوين ذلك كله بالكتابة الهيروغليفية وذلك قبل الميلاد بأربعين قرناً. ولم تكن الهند غائبة عن تاريخ المعرفة الإنسانية بل أسهمت بإنجازات متميزة وعديدة؛ وكذلك الصين. وليس هذا مجال الاستطراد في سرد إنجازات الأمم والشعوب في الحضارات القديمة. والمهم في هذا المقام هو التأكيد على أن الحضارة اليونانية لم تبدأ من الصفر ولم تكن بداية المعرفة البشرية منها وإنما بدأت هذه الحضارة من حيث انتهت الحضارات التي سبقتها.

حين يؤكد المؤلفون الغربيون على بدء الحضارة وبدء الفلسفة من اليونان إنما يحاولون حصر العلم والمعرفة والحضارة في الغرب، فإذا كان الغربيون اليوم يجلسون على عرش الحضارة والتقدم العلمي المعرفي فإن أجدادهم من قبل هم الذين بدأوا ذلك المجد وأسسوا له. وليس هذا هو شأن المؤلفين الغربيين المعاصرين فقط فهذا فرانسيس بيكون (توفي عام 1626م) يقول في الارجانون الجديد:

---

5 أنظر كلمة التحرير في "إسلامية المعرفة" العدد 23 بعنوان: المعرفة في إسلامية المعرفة.

"من النظر في تاريخ القرون الخمسة والعشرين السابقة التي نجد فيها ذاكرة إنسانية لها بعض الملامح يمكن أن نميّز فيها ستة قرون فقط فنختارها بوصفها قرونا خصبة بالعلم والتقدم، أما بقية القرون فهي صحارى ومساحات مهملة على امتداد الزمان والمكان. وفي هذه القرون الستة يمكن أن نميّز ثلاث فترات زمنية امتدت كل منهما قرنين اتصفت بدرجة عالية من المعرفة، وهي فترة اليونان والرومان وفترتنا هذه التي نحن فيها، (أي شعوب أوروبا الغربية في القرن السابع عشر) أما القرون الوسطى في العالم فلم تنجح في إنتاج محصول كبير أو غني من العلوم، ولا حاجة لذكر العرب الذين عملت كتبهم الكثيرة في السنوات الأخرى على تراجع العلوم أكثر مما عملت على زيادتها.."[6] ويقول في موقع آخر "إن جميع العلوم التي نعرفها جاءت من اليونان. أما الإضافات التي قدمها الرومان أو العرب ومن جاء بعدهم من المؤلفين، فهي قليلة وليست ذات أهمية كبيرة، فهي مبنية على اكتشافات اليونان".[7]

ومثل ذلك يؤكده في مطلع هذا القرن العشرين ويل ديورانت في كتابه المشهور قصة الفلسفة. فبمجرد استعراض قائمة محتويات هذا الكتاب[8] نجده يبدأ الحديث عن أفلاطون وتلميذه أرسطو في القرن الرابع قبل الميلاد ثم ينتقل فجأة إلى فرانسيس بيكون في القرن السابع عشر بعد الميلاد.

ومع نهاية القرن العشرين يبدأ مؤلف كتاب قصة علم النفس Morton Hunt فصله الأول بعنوان: "اليونان: المجد الذي كان" The Glory that was Greece. ويبدأ الجملة الأولى في الفصل بعبارة للفيلسوف البريطاني برتراند رسل (توفي 1970): "طيلة التاريخ لا يوجد شيء أكثر غرابة أو أكثر صعوبة في التفسير من الظهور المفاجئ للحضارة في اليونان". ثم يوضح المؤلف كيف أن اليونان قد مارسوا الاقتراض الثقافي من مصر وبلاد الشرق حتى القرن السادس قبل الميلاد، لكنهم فيما بين القرن

---

6 Bacon, Francis. The New Organon, edited by L. Jardine & M. Silverthorne. Cambridge, UK: Cambridge University Press, 2000, P.64.

7 Ibid, P. 58.

8 Durant, Will. The Story of Philosophy. New York: Simon and Schuster, 1953.

السادس قبل الميلاد والرابع قبل الميلاد اخترعوا وولدوا من العلوم والمعارف والفنون والمؤسسات الشيء المذهل.[9]

ومعظم الثقافة الغربية اللاحقة كانت تحدّرا خطياً منهم، وقد نما القسم الأكبر من الفلسفة والعلم خلال القرون الخمسة والعشرين وتطور بالاعتماد على محاولات فلاسفة اليونان لفهم طبيعة العالم، كما أنّ قصة علم النفس هي وصف للجهود المتصلة للإجابة عن الأسئلة التي سألها اليونان في البداية عن العقل الإنساني. ثم يقول المؤلف في مطلع الفصل الثاني: "من الصعب تفسير الظهور المفاجئ والنابض بالحياة لعلم النفس عند اليونانيين، وبنفس القدر يصعب أيضاً تفسير فترة النوم التي جاءت بعد أرسطو واستمرت قرابة عشرين قرناً حتى القرن السابع عشر، حين أثارت الأسئلة النفسية بعض رجال الفكر بنفس الطريقة التي أثارت فيها السابقين في فترة الازدهار التي شهدتها الثقافة اليونانية.." وحين يضطر المؤلف إلى ذكر جهود المفكرين والمؤلفين والشعوب التي جاءت بعد اليونان وواصلت تعاملها مع أسئلة علم النفس التي صاغها فلاسفة اليونان، يواصل القول: "لقد فعلوا ذلك على طريقة الشارحين commentators لذين يعيدون عمل ما سبق عمله أكثر من كونهم مكتشفين ومخترعين، ولم يقدم أي واحد منهم فكرة جديدة مهمة أسهمت في تقدم المعرفة السيكولوجية بمقدار ملموس".[10]

وينقل كثير من المؤلفين العرب والمسلمين هذه النظرة المتحيّزة؛ إذ يُعْلون من شأن الحضارة اليونانية ويمجدونها بأكثر مما يفعله الغربيون أنفسهم. ونكتفي في هذا المقام بالإشارة إلى واحد من هؤلاء المؤلفين. ففي مراجعته لكتاب ديكارت "مقال في المنهج" وتقديمه المطول لهذه الترجمة يرى د. محمد مصطفى حلمي أن الأمم القديمة في مصر والهند والصين وفارس: "كانت لها فلسفاتها التي انطوت عليها دياناتها.. فهذه الفلسفات إذن لم تكن فلسفات بالمعنى الفلسفي الدقيق بقدر ما كانت ألواناً من الحكمة وضروباً من المبادئ والقواعد، مما كان يتصل من قريب أو بعيد بالدين والعقائد.. أكثر مما يرمي إلى ترقية العقول من الناحية النظرية، وإعمال هذه العقول إعمالا منهجياً منظماً.. (أمّا) الفلسفة بمعناها الحقيقي وبمنهجها الحسي حيناً

---

9 Hunt, Morton: The Story of Psychology. New York: Anchor Books, Doubleday, 1993, P. 12.

10 Ibid, 35.

والعقلي النظري حيناً آخر، والتجريبي العملي تارة، والذي يؤلف بين الحس والعقل والتجربة تارة أخرى، قد نبتت شجرتها في أرض اليونان، وما فتئت هذه الشجرة تتعهدها العقول والقلوب حتى نمت وأينعت، وآتت أكلها مناهج وأنظاراً عقلية، وطرقا ووسائل عملية وأذواقا ومواد روحية، ثم تفرعت أغصانها النامية وامتدت ظلالها الضافية، وإذا ثمارها ناضجة دانية، وإذا الإنسانية كلها تنعم بهذه الثمار، وتستظل بتلك الظلال، فتجد عندها غذاء العقل، ونزهة القلب، وبهجة النفس. وهذا يعني بعبارة أخرى أن فلاسفة اليونان هم الذين مهدوا للإنسانية سبيل التفكير الدقيق والنظر العميق في الكون، وفيما يشتمل عليه الكون من ظواهر وأحداث، وفيما لهذه الظواهر والأحداث من صلة بخالقها ومبدعها وبالإنسان الذي يؤثر فيها ويتأثر بها، وفي ذات الإله، وذات الإنسان وفيما هما عليه من ذاتيهما. فالإنسانية من هذه النواحي كلها مدينة لليونان بفلسفتهم النظرية والعملية التي ليس من شك في أنها كانت نتاجاً عقلياً خصباً، وعملاً روحياً جليلاً للعبقرية اليونانية.."،[11] ثم يستمر الكاتب في هذا اللون من الغزل فيؤكد أن "فلاسفة اليونان هم أوّل من.. وأوّل من.. وأوّل..." وينقل د. فؤاد زكريا في كتابه التفكير العلمي هذه الفكرة التي يتبناها أكثر مؤرخي الحضارات الشرقية القديمة حيث تراكمت فيها "حصيلة ضخمة من المعارف ساعدت الإنسان في هذه الحضارات على تحقيق إنجازات كبرى، ما زالت آثارها تشهد بعظمتها حتى اليوم. ولكن هذه المعارف لم تكن سوى خبرات موروثة، ربما كانت راجعة في أصلها إلى أقدم العصور البدائية للإنسان، وقد ظلت تورث جيلاً بعد جيل، وساعدت على إثراء حياته العقلية."[12] هذه الشعوب كانت لديها خبرات تتيح لها أن تحقق إنجازات عملية هائلة؛ ولكنها لم تتوصل إلى النظريات الكامنة وراء هذه الخبرات، ولم تخضعها للتحليل العلمي الدقيق. أما الحضارة التي توصلت إلى هذه المعرفة "النظرية" والتي توافرت للإنسان فيها القدرة التحليلية التي تتيح له كشف "المبدأ العام" من وراء كل تطبيق عملي فهي الحضارة اليونانية.

---

11 ديكارت، رينيه. مقال في المنهج. ترجمة محمود محمد الخضيري ومراجعة محمد مصطفى حلمي. القاهرة: دار الكتاب العربي ط 1968 2 ص 3-50.

12 زكريا، فؤاد. التفكير العلمي. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. سلسلة عالم المعرفة- 1، 1978، ص 124.

ثم يحاول د. زكريا نقض النظرية واتهام قائليها بالتحيز الحضاري وإنكار ما بين الخبرة العملية والبحث النظري من علاقة وثيقة، والإشارة إلى نماذج من تطور العلوم وتطبيقاتها في الحضارات القديمة وإلى مؤشرات العلاقة بين اليونان والحضارات السابقة عليهم.[13]

إنّ الذين يؤكدون فضل اليونان في بدء العلم ينطلقون من الافتراض بأن أصل المعرفة واحد وهذا الأصل تطور في خط متصل صاعد بُنِيَ فيه الجديد على القديم، مع العلم بأنه ليس ثمة ما يمنع أن تكون في حركة العلم تراجعات أو فترات من التوقف، أو مسارات متوازية حققت فيها شعوب مختلفة ومتباعدة إنجازات متقاربة، أو أعادت اكتشاف أشياء دون علم باكتشاف الآخرين لها قبلهم.

إنّ تاريخ المعرفة هو تاريخ الإنسان، وتاريخ حضارته، وتاريخ محاولاته في التعرف على الكون وأحداثه وظواهره وتعامله معها. وفي التفكير الإسلامي يمكن أن نتجاوز ما يقول به علماء التطور العضوي والأجناس البشرية، لنبدأ من لحظة وجود الكائن الإنساني الذي استحق هذا الوصف.

لقد بدأ هذا الوجود الإنساني بأبي البشر آدم، وبدأت المعرفة وبدأ العلم الإنساني مع بداية خلقه. والمعرفة في المصطلح القرآني جزء من العلم. وقد نقل الخالق سبحانه لنا مشهد الحوار الإلهي مع الملائكة حول قضية ذلك الخلق وما ارتبط به مباشرة من معرفة وعلم وتعليم، وما تبع ذلك من تكريم للإنسان بسجود الملائكة له بأمر الله، وما ترتب عليه من حمل الإنسان لأمانة الخلافة في الأرض. وهكذا بدأ العلم، من حيث تحصيله وتوظيفه، بالتلقي من واهب العلم سبحانه ﴿وعلّمَ آدمَ الأسماءَ كلّها..﴾ (البقرة:31)، ثمّ في تعليمه ﴿يا آدم أنبئهم بأسمائهم..﴾ (البقرة:33). وأَخَذَ عِلْم الإنسان ومعرفته بالتطور عندما هبط إلى الأرض ليعيش فيها ويتعامل مع أشياء الكون وأحداثه وظواهره، مزّوداً بالإمكانات الأساسية اللازمة لهذه الحياة. ونستطيع أن نتخيل بعض مراحل هذا التطور من التأمل في بعض نصوص القرآن التي توثق بعض مراحل هذا التطور.

فالرعاية الإلهية للإنسان لم تتوقف بعد هبوطه إلى الأرض ﴿..فإمّا يأتينّكم منّي هُدىً فمن تبع هُدَايَ فلا خَوْفٌ عليهم ولا هم يَحْزَنوُن﴾ (البقرة: 38)، ﴿يا بني آدَم إمّا يأتيَنَّكُم رسلٌ منكم يقُصّون عليكم آياتي

13 المرجع السابق ص 126.

ويُنذرونَكم لقاءَ يومِكم هذا، فمن اتقى وأصلح فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾ (الأعراف:35)؛ فبقي الوحي مصدراً من مصادر الهدى والمعرفة على مدار التاريخ البشري، عبر مواكب الأنبياء والرسل، ومع توالي نزول الكتب والصحف، حتى إذا انقطع الوحي بخاتم الرسل محمد عليه الصلاة والسلام، جاء آخر الكتب ليكون وحياً دائماً محفوظاً يتضمن ما يحتاج إليه الإنسان من هذه الرعاية الإلهية إلى نهاية الحياة البشرية على الأرض.

لكن الكون الذي يعيش فيه الإنسان كان أيضاً مصدراً دائماً للعلم والمعرفة، لذلك كان على الإنسان أن يُعمِل عقلَه وهو يشاهد (أي يُعْمِل حواسّه في) أشياء الكون وأحداثه وظواهره ويتعامل معها، فيعرف كيف يحلّ مشكلاته ويختزن هذه المعرفة في المواقف الأخرى، وينقل هذه المعرفة من جيل إلى آخر. ولعلّ في قصة ابنَيْ آدم والصراع الذي وقع بينهما وانتهى بقتل أحدهما للآخر نموذجاً لمواقف التعلّم التي كان على الإنسان أن يتعامل معها بوعي، فيعرف كيف يحل مشكلة تواجهه وكيف يختزن هذه الخبرة ويجعلها جزءاً من مخزونه المعرفي المتنامي. ﴿فَبَعَثَ اللهُ غُراباً يبْحَثُ في الأرضِ لِيُرِيَهُ كيفَ يُوَارِي سوءةَ أخيه، قال يا ويْلَتى أعَجَزْتُ أن أكونَ مِثْلَ هذا الغُرَابِ فأُوَارِيَ سَوءَةَ أخِي، فأصْبَحَ مِنَ النّادِمِين﴾ (المائدة:31).

ولا شك في أن الإنسان مرّ بمراحل من الهدى والضلال، والمعرفة والجهل، والتذكر والنسيان، وذلك فيما يتعلق بتصوراته ومدركاته حول قضايا الخالق والخلق، كما مرّ أيضاً بمراحل في تسخير أشياء الكون وظواهره، وتوظيفها لتطوير أنماط حياته وتيسير سبلها، فاهتدى واكتشف من منافع الأشياء واستعمالاتها وتوظيف الظواهر واستغلالها، ودَجَّن الحيوان وزرع النبات، وصنع الأدوات. ولا بأس في هذا المجال من الاستئناس ببعض ما يقول به علماء الانثروبولوجيا سواءً مما يتخيلوه بمجرد الفكر أو مما يستنتجوه من بقايا التاريخ الإنساني قبل بدء التدوين والكتابة.

وإذا كانت معرفة الإنسان حسب التفكير الإسلامي قد بدأت مع لحظات وجوده في الجنة وهبطت بداياتها معه على الأرض، فإنّ وحي الله للإنسان أيضاً، وما يأتي به من علم ومعرفة، كان سلسلة متصلة الحلقات، تذكّر كل حلقة بما قبلها وتهيئ لما بعدها، ومن تفاعل الأمم مع الرسالات، سلباً أو إيجاباً طوت كل أمة معارفها وصاغت ثقافتها وشيدت حضارتها، حتى إذا جاءت الرسالة الخاتمة، وانتقلت معها قيادة

الحضارة الإنسانية إلى الأمة المسلمة، لم تبدأ الحضارة الإسلامية من الصفر وإنما استوعبت الحضارات السابقة وبخاصة اليونانية والهندية، وقدمت إسهاماتها الخاصة بها في المجالات المعنوية والمادية. وعندما ضعفت قدرة الأمة الإسلامية على مواصلة الريادة والإبداع الحضاري، لم يتوقف موكب العلم والمعرفة بل استأنف الموكب تقدمه بقيادة أوروبية، اعتمدت فيه أوروبا اعتماداً كبيراً على استيعاب خلاصة الحضارات السابقة كما صاغتها الحضارة الإسلامية وقدمتها، وبطبيعة الحال كان لهذه الدورة الحضارية أيضاً كما لكل الدورات السابقة خصائصها وإنجازات شعوبها المتميزة.

إن معظم ما كُتب عن تاريخ المعرفة يتعلق بتاريخ العلم بالمعنى الضيق لهذه الكلمة، وهو دلالة هذه الكلمة في اللغة الإنجليزية المعاصرة، أي العلوم الطبيعية، بينما نجد أن دلالة الكلمة بالعربية ودلالة اللفظة المقابلة لها في كثير من اللغات الأخرى تشير إلى مجمل ميادين المعرفة الإنسانية. وقد كُتب القليل عن تاريخ الفلسفة سواءً باعتبارها مجالاً معرفياً محدداً، أو بمعناها الأعم الذي كان يشمل المعرفة والحكمة، وثمة كتابات قليلة عن تاريخ العلوم الإنسانية والاجتماعية. ولكن الكتابات المتخصصة بتاريخ العلوم والمعارف الإسلامية كتابات نادرة. ولعلّ من المناسب أن نشير في هذا المقام إلى أهمية البحث والتأليف في كيفية تطور العلوم الإسلامية منذ بدأ تدوين الحديث وتطورت علومه، ومنذ بدأ تدوين الفقه وتطور أصوله وفروعه، وكذلك علوم التفسير والتاريخ واللغة وغيرها، وسوف نجد أن ثمة ما يؤكد ضرورة التمييز بين الوحي بنصوصه الثابتة والعلوم التي دارت حول النصّ. وربما نجد أن التطور التاريخي لهذه العلوم الخادمة للنصّ لها دلالات غاية في الأهمية.